خطبة الامام علي (في الحث على التآلف) قراءة جمالية

أ.م.د. رباب حسين منير كريم

جامعة البصرة – كلية العلوم- قسم الرياضيات

ملخص البحث:

إن الامام علي (عليه السلام) من أعلام الفصاحة والبلاغة ،ومثل كتاب نهج البلاغة وجها من وجوهها ،وضع فيه افكاره في قوالب فنية راقية لجذب المتلقي وشد انتباهه .و يدرس البحث خطبة واحدة حملت افكارا توعوية وسلوكية هي (في الحث على التآلف) وعلى الرغم من قصرها امتازت بسمات فنية عديدة حاولنا استبانة هذه الجوانب الفنية دون إغفال جانبها الدلالي.

وقد تبين أن لغة الخطبة متنوعة السمات والمظاهر ،فقد جمعت بين الطباق والتكرار والجمل النحوية المتنوعة كما عزفت على حروف الجهر اكثر من الهمس لإعلاء صوت العقل ، وإلى جانب هذا التنوع اللغوي نجده يوظف الصور الأدبية التي طغت فيها الصورة التشبيهية لأهميتها في تقريب المعاني واستجلائها ولما كان الامام علي (عليه السلام) يملك البراعة اللغوية المتحاورة مع النص القرآني لم يغفل دور الايقاع في الايصال والتأثير الجمالي والنفسي والدلالي فوظف السجع والجناس والتوازي ،فضلا عن إعلاء ايقاع الخطبة بفعل الركون إلى حروف الجهر غالبا. وقد استطاع أن يبني من كل هذه العناصر لبنة متماسكة بالاستعانة بالتراص المعجمي الواضح باستعمال التكرار والتضاد والترادف إلى جانب التراص النحوي.

الكلمات المفتاحية : الامام علي ، قراءة جمالية ، نهج البلاغة .

Imam Ali's Speech on Unity: An Aesthetic Reading

Asst.prof.Dr. Rebab Hussein Moneer

Dept. of Mathematics ,College of Sciences ,University of Basrah

Abstract:

Imam Ali (peace be upon him) is considered as one of the distinguished rhetoricians as his thoughts reflected in "Nahj al Balagha" in forms of artistic models attracting the reader's attention. The present research examines one speech that carries many behaviorist and educational ideas which are directed towards the concept of unity from an aesthetic point of view with reference also to the indicative aspect.

It was found that the speech language is diverse in themes and structure. It comprises repetition and antithesis, besides the various sentence patterns. It focused on sonorous sounds to make it more conceivable. There was also a depiction of literary images where simile and metaphor were the major figures since these help understand the content. Also, since Imam Ali was linguistically competent in approaching Quran as a text, he exposed the role of cadence in communicating the aesthetic, psychological and connotative effects using parallelism, archaism, and alliteration. Thus, out of these elements, the Imam was able to construct a texture lexically interwoven and clear through the use of antonyms and synonyms as well as the compact syntactic format.

Key words: Imam Ali , Aesthetic Reading , Nahj al Balagha .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٦ – نيسان لسنة ٢٠٢١

المقدمة:

عرف الإمام علي (عليه السلام) بالفصاحة والبلاغة فقد كان " يفيض بالمعارف الحقيقية وتحار فيه النفس الوالهة الخائضة في الفلسفة الالهية ،ونجد أن الفكر الانساني يلتقي ويرتقي معه إلى أن يصل إلى اوج مرتقاه حتى غذا[كذا] كل موقف"[١] ولم يبخل امامنا علي (عليه السلام) بهذه المعارف وراح يثقف مجتمعه بما يملكه من علوم أمتاز بها عمن سواه ، والتي تضمن كتاب (نهج البلاغة) شيئا منها. وهو كتاب ضم مجموعة من خطبه (عليه السلام) التي جمعها السيد الشريف الرضي ،والتي اتسمت بجودة السبك والتناص مع القران والسنة المطهرة بأساليب مختلفة فضلا عن تناصه مع الشعر والامثال[٢] . وقد اخترنا خطبة (في الحث على التآلف) لبيان الخصائص الجمالية واثرها في تعزيز دلالات الخطبة وقد ارتأينا التركيز على الظواهر البارزة

نص الخطبة: في الحث على التآلف

"لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

و منها : افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ يُزَعْزِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ وَايْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ وَكُفِيتُمْ مَئُونَةَ الِاعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ. "(نهج البلاغة /٢٦٧-٢٦٨)

اولا- اللغة:

تعد اللغة العنصر الجمالي الأول الذي يواجه المتلقي وهو عنصر إنتاجي يولد العناصر الجمالية الأخرى من صور، وإيقاع، وتماسك نصي .وضمت الخطبة مظاهر لغوية عززت دلالاتها وسلسلت الظواهر حسب كثرة استعمالها في النص وبروزها ومنها:

١- **التضاد:** التضاد أو ما يسمى الطباق ايضا ،يقوم على الجمع بين الشيء وضده ويكون بأسلوبين هما :الجمع بين المتعاكسين في اللفظ أو بإثبات الشيء ونفيه .واذا كان التضاد لا يقع بين شيئين بل تتسع دائرته إلى اكثر من شيئين سمي تقابلا ؛اذ تقوم حين " يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فاكثر ثم بأضدادهما أو غيرهما على الترتيب"[٣]

افتتح الإمام علي(عليه السلام) خطبته في الحث على التآلف بالطباق بين (صغير/كبير) واستهلال المطابقة بالصغير" ليتأس صغيركم بكبيركم" (نهج البلاغة/٢٦٧) جاء لأنه لبنة المجتمع ،وتأسيسه يعني تأسيس مجتمع ناجح قادر على الاستمرار في انتهاج الطريق الصحيح القادر على علاج الافات المجتمعية .ثم يتحول الطباق و تتبدل المواقع إلى الاستهلال بالكبير "ليرأف كبيركم بصغيركم" (نهج البلاغة/ ٢٦٧) فلبنة المجتمع الغضة تحتاج الرعاية التي يجب ان يوفرها الكبير لينبت أفضل ثماره.

إن استهلال الطباق يوجه النظر إلى العنصر المهم و المحوري في العملية الإجتماعية التي تشير إليها الجملة الطباقية ، وتخيره كان ذا مقاصد وغايات ،فالصغير أساس بناء المجتمعات وبناؤه باسلوب قويم يقيم مجتمعات قويمة، لكن هذا الصغير يحتاج الرعاية حتى يشتد عوده ويكون قادرا على التمييز بين صوائب الامور و أخطائها فاخذ الكبير المحور الاستهلالي في الطباق الثاني ،والملاحظ أن التضاد نسج وفق فن التوازي ليحقق تناغما إيقاعيا إلى جانب اللغوي والدلالي لتحقق هذه المطابقة الرقي البلاغي ؛فيرى البلاغيون أنه "لا يكفي أن يؤتى بالمطابقة بعيدة عن أي هدف مجرد عن كل تأثير وإنما ينبغي أن تأتي موشحة بنوع من البديع لكي تكتسب جمالا وبهاءً"[٤] لتمتلك الأسماع وتحقق الأصغاء فتصل الانفس.

٢- **اعتماد الجمل الفعلية:** اعتمدت الخطبة عموما الجمل الفعلية المتنوعة الأزمنة، مما وسمها بالتنقل بين الحركة والسكون ،فمن حركة ولدت باستعمال الفعل المضارع في الفقرة الأولى لتتواءم مع الحركة التي يحتاجها التغيير السلوكي (يتأس و ،يرأف ،وتكونوا ...)الى الفعل الماضي في بداية الفقرة الثانية ليورث الجمل الثبات والسكون فتعزز رسوخ الفرقة والتشتت لكن هذا الثبات يتحول الى حركة باستعمال الفعل المضارع الذي عززت حركته باستعمال سين الاستقبال "سيجمعهم" لتحمل الحركة سمة القوة والاندفاع والامتداد التي يحتاجها التغيير إلى التآلف بعد الفرقة والتشتت التي كانت متأصلة راسخة بفعل الفعل الماضي.

وقد استمرت الحركة في الفقرة الثانية بتوظيف الافعال المضارعة للوصول إلى مبتغى الخطبة الرامي الى تغيير السلوكيات السلبية التي لا تتوافق مع تعاليم الدين الاسلامي وما حمله من مبادئ اساسية من تكاتف واحقاق للحق. لكن الفعل المضارع يتحول الى الثبات بإيقاف حركته باستعمال (لم)التي "تختص بنفي الفعل المضارع وتقلب زمنه ماضيا"[٥] ليظهر الصفات السلبية راسخة من تخاذل عن الحق ،وتهاون مع الباطل ،ثم يعود الفعل الماضي ليؤكد رسوخ الصفات السلبية ،وينتقل إلى بث الحركة بالعودة إلى الفعل المضارع المسبوق بالقسم والمتصل بنون التوكيد الثقيلة "ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي اضعافا"(نهج البلاغة/٢٦٨) ليؤكد استمرارية التيه بعد فقد الامة لإمامها ومرشدها في المستقبل ؛إذ إن "نون التوكيد تخلص الفعل للاستقبال فلا تدخل على فعل للحال"[٦]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٦ – نيسان لسنة ٢٠٢١

٣- حروف الهمس والجهر :تظهر في الخطبة براعة لغوية في توظيف الالفاظ المنسوجة بحروف الجهر والهمس : فكثرت الالفاظ التي حملت حروف الجهر ليتعالى صوت النصيحة ويطرق الاسماع بتجلٍّ و وضوح لكنها لم تخلُ من الهمس وان تراجعت نسبتها لتخفف من حدة حروف الجهر فلا تتحول إلى صراخ يثير في النفس ردود فعل سلبية ،كما أن اختيار حروف الهمس لم يكن لحروف تتسم بالضعف الشديد إلى حد اخفات صوت الخطبة.

فتصدرت الكاف حروف الهمس في الفقرة الأولى ، وحرف الهاء في الفقرة الثانية ، والكاف في الفقرة الثالثة بفارق بسيط مع حرف الهاء. وحرف الكاف على الرغم من أنه من حروف الهمس إلا أنه كان يلفظ بشيء من الفخامة والشدة في أول الكلمة ،أما آخرها فصوته يوحي بالاحتكاك والحرارة[٦] لتحافظ الخطبة على علوها فلا يضعف صوتها ضعفا يوحي بالتردد والانهزام بل توحي بالحزم والقوة ،أما حرف الهاء الذي يأتي في المرتبة الثانية في الظهور داخل الخطبة فيختلف إيحاءها بحسب طريقة لفظه ولما كان وروده في خطبة جهورة حملت النصح والارشاد نرجح لفظها المخفف ليوائم طبيعة الخطبة ويقلل من حدة حروف الجهر و"إذا لفظ صوتها مخففا مرققا مطموس الاهتزازات اوحى بارق العواطف الانسانية "[٧] وهو ما يتواءم وطبيعة شخصية الخطيب الإنسانية القوية الحريصة على الدين وأهله

ثانيا- الصورة :

لما كان النصح غاية الخطبة كان لابد أن تدخل الصورة في تشكيلها الفني لعتزز الاثر النفسي وتعمقه ،بمخاطبة الحواس ؛لاستثارة خيال المتلقي وتحقيق هدف النص والوصول الى غايته.

وقد اختار الامام علي (عليه السلام) الصورة التشبيهية غالبا "ولا شك أن تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أم بمعناه"[٨] ومن الصور التشبيهية في الخطبة قوله (عليه السلام) "لا تكونوا كجفاة الجاهلية ،لا في الدين يتفقهون ،ولا عن الله يعقلون كقيض بيض في اداحٍ يكون كسرها وزرا ،ويخرج حضانها شرا "(نهج البلاغة/٢٦٧) ويحمل استعمال التشبيه لرسم الصور أثر القران الكريم في أسلوبه ،ولا غرابة فهو من عايش القرآن والرسول منذ نعومة اظفاره حتى صار اثر القرآن واضحا و عفويا في أسلوبه ،فمثلما استغنى القرآن في مواضع كثيرة عن المباشرة في الخطاب ليركز المعنى ويقره في ذهن المتلقي وهو ينبض حسا وخيالا وظلالا[٩] يستغني إمامنا علي(عليه السلام)عن المباشرة ويركن إلى الصورة يحيل إليها المعنى فتوسعه وتعمق تأثيره وتحمله دلالات تثير المتلقي وتخاطب خياله لترسخ الدلالات في ذهنه لاسيما باستعمال الصور المتتابعة ببراعة، صور استلت اجزاؤها من المجتمع البشري القريب(جفاة الجاهلية) إلى صور ثانية من المجتمع الحيواني"كقيض بيض فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً" (نهج البلاغة/٢٦٧) فالشريعة الإسلامية تحرم قتل النفس دون

حق فقتلها(وزرا) بغض النظر عن مكنون النفس فالعقاب لا يكون إلا وفقا للأفعال لا على خبايا النفس مثلما لا يجوز كسر البيض في الاعشاش فقد تكون فيه روح تنبض وإن كان ما تحتضنه(شرا) .

والملاحظ أن الصورة تنبثق عن محيط المتلقي ليكون لها وقع في نفسه وافهاما في عقله ،وهي(قرع الخريف ،و كركام السحاب،و كسيل الجنتين ،ومتاه بني اسرائيل) ولم تستثنَ الصورة التشخيصية الوحيدة الموجودة في الخطبة من الواقعية(بطون اودية) كما ركنت صور الخطبة إلى الحسية ،فهي لا ترمي إلى مداعبة الخيال قدر اثارة الفكر وتحويله نحو المدركات للوصول إلى الإدراك والفهم ومن ثم الأخذ بالنصح.

ثالثا: الإيقاع

إن براعة الامام علي(عليه السلام) في اللغة العربية يجعله يوظف كل الجوانب اللغوية لتضفي جمالا يلاقي قبولا في النفس ويعزز دلالات الخطبة ،فوظف اللغة لتكون أداة لإضفاء الإيقاع على الخطبة ؛ليعزز قدرة العبارات على امتلاك الأسماع ومن ثم الإصغاء إلى مكنون الخطبة ،والتمعن في دلالاتها التي تتعمق بفعل الإيقاع . وقد وظف أساليب لغوية و بلاغية ليكون الكلام ايقاعا يتسرب إلى النفس من خلال الاذن فيثير الفكر ،ومن هذه الأساليب

– **السجع:** ويعرف بانه "توافق الفاصلتين في الحرف الأخير"[١٠] فهو يقوم على تكرار الحرف ذاته في نهاية الجمل ؛لذا يشكل ضربة إيقاعية متواترة ،تقترب من التواتر الذي ينتج عن القافية في الشعر حتى سُمّي السجع قافية النثر وجاءت (الميم ،والنون ،الراء المنونة بالفتح ،والتاء المربوطة) لتكون قوافٍ نثرية للخطبة ،وهي حروف جهورة تتصف بالتوسط بين الشدة والرخاوة[١١] عدا التاء التي هي من حروف الهمس لكنها لا تخفت إيقاع الخطبة كونها "من الحروف الإنفجارية"[١٢] مما جعل الوقوف مستقرا يوصل رسالة الثقة بالذات و سداد الرأي عند الخطيب الى المخاطب ،وهذا الإيصال كفيل بخلق القناعة بآراء الخطيب وإقناع المخاطب . وقد اختار الإمام علي (عليه السلام) الاسجاع لتتواءم والمعاني الواردة في الجمل ، فالميم رافقت النصيحة الاولى ،وهي حرف يحمل المرونة والتماسك[١٣] وهذا ما يتطلبه الاقتداء، والرأفة ،والألفة بعد التشتت ، وتتحول السجعة إلى إيقاع النون حينما يتحدث عن فقد التفقه والعقل ،وهذا يسم الانسان بعدم الاتزان والتخبط والتيه ليتناسب المعنى مع سجع النون ،فهو حرف يحمل معنى الاهتزاز[١٤] وهذا الاهتزاز فيها يتناسب وعدم الاستقرار الفكري .وجاءت الراء لتكوّن السجع في قوله (عليه السلام) "يكون كسرها وزرا ،ويخرج حضانها شرا" ويحمل حرف الراء معنى التحرك والتكرار[١٥] وهو يتوافق مع إحداث الكسر المؤدي الى اكتساب الوزر، واختيرت التاء لتكون حرف السجع في قوله (عليه السلام) "حيث لم تسلم عليه قارة ، ولم تثبت عليه اكمة "(نهج البلاغة/٢٦٨) وهو حرف يحمل معنى الضعف والرقة[١٥] وهو ما توافق مع معنى الجمل واكده ؛فالأرض التي سار عليها بنو امية لا يمكن أن توسم إلا بالوهن والهشاشة.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٦ – نيسان لسنة ٢٠٢١

– **الجناس** يقوم على الجمع بين لفظين تقاربا او تشابها في اللفظ واختلافا في المعنى ،ويحمل الجناس إمكانية ايقاعية ودلالية في الوقت ذاته . وظهر هذا الفن في الخطبة موضوع البحث و تمثل في (قيض ،وبيض) و (متاه ،والتيه) و(يسيلون ،وسيل) والملاحظ استعمال حروف مجهورة هي: الضاد واللام وهامسة طغت عليها الحروف الإنفجارية هي :الالف والباء والتاء للحفاظ على المستوى الإيقاعي المرتفع فلا يكون فيه ضعف. ولم يختلف **التكرار** في وظيفته الإيقاعية عن الجناس ، مثل صغيركم وكبيركم ومال و ركام وقوم وتشكلت من حروف همس انفجارية (الكاف والف) وحروف جهر الغين واللام والميم والراء ؛إذ ساهم في رفع ايقاع النص ،واعلاء صوت النصيحة .

– تابع **التوازي** مهمة الحفاظ على الايقاع ذاته :بتشكله من حروف هامسة انفجارية وحروف جهر في قوله "قطعتم الادنى و وصلتم الابعد" (نهج البلاغة/٢٦٨) كما كان **لحروف الجهر** ذاتها دور واضح في رفع الايقاع وإعلاء صوت النصح إذ طغت حروف الجهر كما ذكرنا سابقا.

– كما كانت **الاساليب اللغوية** وسيلة لإضفاء الايقاع ؛إذ تنوعت هذه الاساليب بين الامر والنهي و الخبرية والقسم والنداء. فاختار النص أسلوب الطلب القائم على الامر والنهي ليستهل به النص باعتماد الفعل المضارع المسبوق بلام الامر "ليتأس ،ليرأف" ،وهو أسلوب يمنح النص ايقاعا تصاعديا[١٦]يسهم في إمتلاك الاصغاء ،وتستمر النغمة بالتصاعد بفعل أسلوب النهي "لا تكونوا" ،و بعد أن رفع الإيقاع يتحول إلى نغمة مستوية بفعل الجمل الخبرية التي استمرت في الفقرة الثانية ،التي تمنح النص ايقاعا مستويا[١٧] ولا يتغير الايقاع بدخولنا الفقرة الثالثة التي تفتتح بالنداء "ايها الناس" ؛إذ إنه أسلوب يحافظ على الإيقاع المستوي[١٨] ثم ترتفع نغمة النص بأسلوب التهديد من حصول الاذى بترك نصرة الحق، ثم تتحول إلى مستوية بفعل النصح والإرشاد فسبيل الخلاص إتباع نهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).ويمكن تمثيل الايقاع اللغوي في المخطط التالي:

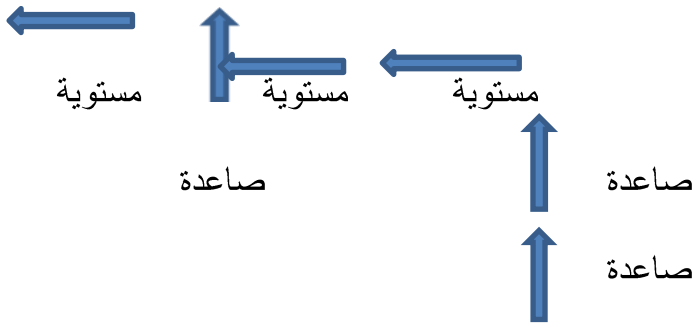

رابعا- التناص :

لم يكن التناص مع القران متجلٍّ في أساليبه فحسب بل تعدت إلى الفاظه التي ضمت إلى نسيج نص الخطبة ؛لتنفتح نحو النص القرآني بإيجاد بؤر لفظية خبأت نصوصا ساهمت في تعزيز دلالاتها وتمدها بجمالية التواصل مع أرقى النصوص أدبية وهو القرآن الكريم. و"التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة ."[١٩]

ومن التناص "كسيل الجنتين" في قوله عليه السلام:" يُؤَلِّفُ اللَّـهُ بَيْـنَهُمْ ثُـمَّ يَجْمَعُهُـمْ رُكَامـاً كَرُكَـامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْـتَثَارِهِمْ كَسَـيْلِ الْجَنَّتَـيْنِ"(نهج البلاغـة/٢٦٨) فصـورة سـيل الجنتين تفتح النص نحو صورة من القصص القراني ،قـال تعـالى: "فَأَعْرَضُـوا فَأَرْسَـلْنَا عَلَـيْهِمْ سَـيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْـطٍ وَأَثْـلٍ وَشَـيْءٍ مِـنْ سِـدْرٍ قَلِيـلٍ"(سـبأ/١٦) ليسـتذكر المتلقي العظة والعبرة من القصة القرانية ،فـ (سيل العرم) هـو سـيل الجنتـين الـذي عاقـب الله بـه سبأ على ما بطروا نعمته :فدمر جنانهم .ولم تتمكن من حمايتها حتى الجبال العظيمة المتراصة.

ومنه ذكره ليسلكهم ينابيه في الارض قوله (عليه السلام):" ثُـمَّ يَسْـلُكُهُمْ يَنَـابِيعَ فِـي الْـأَرْضِ" فهـي تناص مع قوله سبحانه: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِـي الْـأَرْضِ ثُـمَّ يُخْـرِجُ بِـهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُـمَّ يَهِـيجُ فَتَـرَاهُ مُصْـفَرًّا ثُـمَّ يَجْعَلُـهُ حُطَامًـا ۚ إِنَّ فِـي ذَٰلِـكَ لَـذِكْرَىٰ لِـأُولِي الْأَلْبَابِ"(الزمر/٢١) وفيه تذكير لقدرة الله سبحانه فمن اوجدكم قادر ان يزيل .

ومنه ذكره الوهن في قوله (عليه السلام):" لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَـقِّ وَلَـمْ تَهِنُـوا عَـنْ تَـوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَـيْكُمْ لَكِـنَّكُمْ تِهْـتُمْ مَتَـاهَ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ" ففيـه استدعاء لقوله تعالى: " وَلا تَهِنُـوا وَلا تَحْزَنُـوا وَأَنْـتُمُ الأَعْلَـوْنَ إِنْ كُنْـتُمْ مُـؤْمِنِينَ"(ال عمـران/١٣٩) فالتمسك بالايمان شرط العلو والرفعة و وقاية مـن الهـوان والحـزن، فكـان التنـاص وسـيلة للتعبئـة الدلالية فضلا عما منحته من جمالية باستلهام النص القراني

خامسا-تراصف النص:

التراصف هو طريقة ترتيب الـنص وتوحيـد أجزائـه وتنسـيقها ليظهـر للوجـود لبنـة واحـدة متماسكة ،ويبدو **التراص المعجمـي** واضحا بمقاربة الألفـاظ تكـرارا ،وترادفـا، وتضـادا دون الركـون إلى اسلوب معجمي واحد ؛امعانا في الرصف والتنسـيق ،فضـلا عـن قـدرة التنـوع المعجمـي علـى ابعاد الملل عن المستمع ولفت انتباهه، وقد ذكرنا امثلـة للتكـرار والتضـاد فـي مواضـع سـابقة ،أمـا الترادف فمثاله في النص (افترقوا/ تشتتوا) ،كما يمكن عد الصور التـي اكـتظ بهـا الـنص وجهـا مـن وجوه الترادف فهي عززت المعاني التي ارادها النص برص الفاظ مختلفة كررت المعنى صوريا.

والى جانب التراص المعجمي نجد **التراص النحوي** ؛إذ "تقوم القواعد النحوية بدور كبير في ربط النص بعضه ببعض على جميع مستوياته :الشكلية والدلالية"[٢٠] وهو دور اضطلعت به الأساليب النحوية لتولد تراصا نحويا يعزز التراص المعجمي في الخطبة فأسلوب الطلب الذي أحال افعال المقطع الأول إلى صيغة الامر دلاليا بإدخال لام الأمر على الفعل المضارع (ليتأس ،ليرأف) يستمر باستعمال النهي (لاتكونوا) الذي يحمل إلى جانب معنى الطلب معنى الرفض ،وهذا الرفض يمتد باستعمال النفي ،نفي التفقه والتعقل عن أهل الجاهلية ليوضح سبب طلبه عدم الإقتداء بهم. وهذا التوضيح لسلبيات العاصيين يستمر في المقطع الثاني باستعمال الجمل الفعلية التي اعتمدت الفعل الماضي ؛ لتنبيههم على رسوخ الصفات السلبية والتصاقها في سلوكهم . وتقوم الفقرة الثالثة بتكرار الجمل المنفية بـ (لم) في أربع جمل لتسهم في استمرار النفي وتحول المعنى إلى الاستمرار الذي يحمله المضارع عادة الى الثبات كونها تحيل الزمن المضارع الى ماضي فتفقده الحركة وتحيله الى السكون ،ليستمر الثبات بالعودة الى الافعال الماضية وإشاعتها على حساب الفعل المضارع .

النتائج

١. كانت لغة الخطبة ولودة لعناصرها الجمالية ،هذه العناصر التي عززت دلالات الخطبة ولفتت الانتباه إلى غاياتيها.
٢. اتسمت لغة الخطبة بسمات لغوية عدة ،منها :التضاد ،واعتماد الجمل الفعلية ،و والتركيز على حروف الجهر وحروف الهمس الانفجارية ؛لتؤكد ثقة الخطيب عليه السلام بقوله. وكانت هذه الوسائل ذاتها وسيلة لرص النص وتماسكه.
٣. ضمت الخطبة الكثير من الصور على الرغم من قصرها فخطاب البصر له اهميته في الافهام والادراك ،وقد ركنت الخطبة إلى الصور التشبيهية التي جاءت حسية منتزعة من الواقع لتصيب مبتغاها ،ويؤكد الدكتور صباح عباس انها تساهم في سرعة ايصال المبتغى الى السامع [٢١].
٤. بينت الخطبة تأثر الامام علي (عليه السلام)بالقران فهو من عايشه منذ الصغر ،وبدا هذا واضحا في الركون إلى رسم الصور إلى جانب الخطاب المباشر .وجاء توظيف اللغة ايقاعيا لتؤكد هذا التأثر فالقران سخر كل جوانب اللغة لخدمة الرسالة السماوية التي حملها القران الكريم. كما تجلى ظهور الاثر القراني بانتاج بؤر في النص استدعت نصوصا من القران الكريم باستعمال التناص.
٥. وظف الامام وسائل بلاغية ولغوية لرفع ايقاع النص وهي :السجع ،والجناس ،والتوازي والعزف على وتر حروف الجهر للإفادة من ايقاعها المرتفع، وركز على حروف الهمس الانفجارية كي يحافظ على ايقاع النص فلا يخفت خفوتا ينم عن تردد او ضعف ،فضلا عن ايقاع الاساليب النحوية .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٦ – نيسان لسنة ٢٠٢١

الهوامش

١. الامام علي بن ابي طالب مفسرا للقران ،د.احمد راسم النفيس،المحجة البيضاء،ط١ ،بيروت ،٢٠١٠م/ ٦٣
٢. ينظر: فن الخطابة نشأتها وتطورها منذ العصر الجاهلي حتى نهاية عصر الراشدين والدراسات النقدية حولها ،احمد حسين الربيعي ،اطروحة دكتوراه ،جامعة القاهرة ،١٩٦٩ م /٢٠٠-٢٠٢
٣. فن البديع ، عبد القادر حسين ،دار الشروق،ط١ ،١٩٨٣/ ٤٩
٤. فنون بلاغية البيان-البديع ،د.احمد مطلوب ،دار البحوث العلمية،ط١ ،الكويت ،١٩٧٥/ ٢٧٤
٥. معاني النحو، د.فاضل السامرائي ،الجزء ٤،شركة العاتك للطبع والنشر والتوزيع،ط٢ ،القاهرة/٨
٦. ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ،حسن عباس ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،١٩٨٩/٧٠
٧. نفسه/١٩١
٨. الصورة الادبية في القران الكريم ،د.صلاح الدين عبدالتواب، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان،ط١،١٩٩٥م /٤٤
٩. ينظر: الصورة الادبية في القرآن الكريم/٤٧
١٠. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،احمد الهاشمي، دار الكتب العلمية،ط٣ ،بيروت ،٢٠٠٦ /٢٤٨
١١.ينظر: خصائص الحروف العربية/٤٩
١٢.نفسه/٤٩
١٣.ينظر :نفسه /٧١
١٤.ينظر :نفسه /١٤١
١٥.ينظر: نفسه/٥٧
١٦.ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ،سمير ابراهيم وحيد العزاوي ،دار الضياء ،عمان-الاردن،٢٠٠٠/١٥٧
١٧.ينظر :نفسه
١٨.ينظر :نفسه
١٩.تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،د.محمد مفتاح ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط٤،٢٠٠٥/١٢١
٢٠.التماسك النصي في نهج البلاغة ،عيسى بن السيد جواد الوداعي، المركز العلمي للرسائل والاطاريح ط١،٢٠١٥م /٧١
٢١.ينظر:نهج البلاغة صوت الحقيقة دراسة اثباتية في ضوء النص القبلي وماهية المنجز الفني، أ.د.صباح عباس عنوز ،اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة ،ط١،كربلاء ،٢٠١٥/٩٦

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ - المجلد ٤٦ - نيسان لسنة ٢٠٢١

المصادر والمراجع

١. القران الكريم
٢. الامام علي بن ابي طالب مفسرا للقران ،د.احمد راسم النفيس،المحجة البيضاء،ط١ ،بيروت ،٢٠١٠م
٣. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،د.محمد مفتاح ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط٤،٢٠٠٥م.
٤. التماسك النصي في نهج البلاغة ،عيسى بن السيد جواد الوداعي، المركز العلمي للرسائل والاطاريح ط١،٢٠١٥م.
٥. التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ،سمير ابراهيم وحيد العزاوي ،دار الضياء ،عمان-الاردن،٢٠٠٠م.
٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،احمد الهاشمي، دار الكتب العلمية،ط٣ ،بيروت ،٢٠٠٦م.
٧. خصائص الحروف العربية ومعانيها ،حسن عباس ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،١٩٨٩م.
٨. الصورة الادبية في القران الكريم ،د.صلاح الدين عبدالتواب، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان،ط١،١٩٩٥م
٩. فن البديع ، عبد القادر حسين ،دار الشروق،ط١ ،١٩٨٣م.
١٠. فن الخطابة نشأتها وتطورها منذ العصر الجاهلي حتى نهاية عصر الراشدين والدراسات النقدية حولها ،احمد حسين الربيعي ،اطروحة دكتوراه ،جامعة القاهرة ،١٩٦٩ م
١١. فنون بلاغية البيان-البديع ،د.احمد مطلوب ،دار البحوث العلمية،ط١ ،الكويت ،١٩٧٥م.
١٢. معاني النحو، د.فاضل السامرائي ،الجزء ٤،شركة العاتك للطبع والنشر والتوزيع،ط٢ ،القاهرة.
١٣. نهج البلاغة صوت الحقيقة دراسة اثباتية في ضوء النص القبلي وماهية المنجز الفني، أ.د.صباح عباس عنوز ،اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة ،ط١،كربلاء ،٢٠١٥م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ - المجلد ٤٦ - نيسان لسنة ٢٠٢١